الدلالة السياقية للعتاب في القرآن الكريم

آلاء هاشم جريان أ.م.د. مرفت يوسف كاظم
جامعة بغداد – كلية التربية للبنات – قسم اللغة العربية

الخلاصة
احتل السياق مكاناً متميزاً سواء فيما يتعلق بفهم النصوص واستنباط الأحكام منها أم تحليلها إذ عُدَّ السياق من القرائن المهمة في الوصول للمعنى المنشود، فالكلمة لا قيمة لها ولا يعرف معناها ما لم تنتظم في سياق معين فالآيات القرآنية لا يمكن فهم معناها ولا نتمكن من معرفة مقصودها ما لم نتمكن من معرفة السياق الذي وردت فيه، فاللسياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي، هو الأمثل لمعرفة المقصود من الآيات القرآنية والتعرف إلى المعنى الحقيقي الذي ترمي إليه هذه الآيات.

The Contextual Indication of admonition in the Holy Quran

Ala' H. Jrian Assis. Prof.Dr. Mervet Y. Kathim
Baghdad Univ. - College of Education for Woman - Department of Arabic Language

Abstract
Context has occupied a distinguished place as far as the understanding of the texts and deducting the rules from them or analyzing them. The context was considered as one of the important presumptions as far arriving at the desired meanings is concerned. The word is worthless and the meaning is not known unless we know the context in which it came. The context in its two types the lingual and non-lingual types. It is the best for knowing the intended meaning of the Quranic verses to know the real meaning.

المقدمة
كان للسياق مكان هام لا سيما فيما يتعلق بفهم النصوص واستنباط الأحكام منها أم تحليلها[1]، إذ عُدّ السياق من القرائن المهمة في الوصول للمعنى المنشود، فالكلمة لا قيمة لها ولا يعرف معناها ما لم تنتظم من سياق معين، كما أن هذه النتيجة المرجوة من النص قد لا تتحقق من السياق اللغوي بمفرده، فهناك الأحداث والظروف المحيطة بالحدث الكلامي، إذن هناك موجهات للمعنى داخلية وخارجية[2]، فالسياق (ينبغي أن يشمل – لا الكلمة والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب- بل والقطعة كلما والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل بوجه من الوجه- كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات)[3].

العتاب لغة:
قال الخليل العتاب هو مخاطبة الأدلال ومُذاكرةُ الموجدَة، وجاء في التهذيب العتبُ والمعاتبة والعِتاب كل ذلك مخاطبة المدلّين أخلاءهم طالبين حسن مراجعتهم ومذاكرة بعضهم بعضاً ما كرهوه مما كَسَبهم الموجِدة والعتبُ والعُتبان لومك الرجل على إساءة كانت له إليك، فاستعتبتهُ منها، وكل واحد من اللفظين يخلص العاتب. فإذا اشتركا في ذلك وذكَّر كُلُّ واحد منها صاحبه ما فرط منه إليه من الإساءة فهو العِتاب والمعاتبة[4].
قال الشاعر:
(إذ ذهـــــــب العِتـــــــاب فلـــــــيس ودّ ويبقـــــى الـــودّ مـــا يبقـــى العتـــابُ)[5]

والعُتبى: اسم والجمع عَتَبُ وعتباتُ، فتقول: لك العتبى، والمعاتبة إذا لامك واستزادك وعتابة من أسماء النساء، وعُتْبة وعتّاب ومُعَتِّب من أسماء الرجال وعتَّاب مبالغة، والعِتْب الرجل الذي يعاتب صاحبه في كل شيء إشفاقاً عليه ونصيحة له، ويقال فلان يستعتِب، ويستقبل، ويستدرك من نفسه إذا أدْرك بنفسه تغييراً عليها بحسن تقدير وتدبير.
والاستعتاب طلبك إلى المسيء الرجوع عن الإساءة قال الرسول (ص): (لا يعاتبون في أنفسهم) [6] يعني لعظيم ذنوبهم، وإصرارهم عليها، وإنما يعاتب من تُرجى عنده العُتبى أي الرجوع عن الإساءة[7].
والمُعَاتَبَةُ: التَّأْدِيبُ والترويضُ. ومِنْهُ الحديث (عَاتِبوا الخيلَ فإنها تُعْتِبُ) أي أدِّبُوها وَرَوضُوها فإنها تتأدب وتَقْبَلُ[8].

يتبين مما تقدم أن مفهوم العتاب هو مخاطبة الإدلال والاحباب ومذاكرة الموجدةِ وذلك لقيامهم بعمل أو عدم القيام به فيحدث العَتبُ لدى العاتب فيقوم المعتوب عليه إلى ما يرضي العاتب.

العتاب اصطلاحاً:

العتاب فن دقيق وقد جاء في القرآن الكريم يحمل دلالات لا تختلف عن دلالته اللغوية، فقد جاء لمذاكرة الموجدة، ومخاطبة الأحباب والمدللين، والرجوع عن القيام بالفعل أو للحث على القيام به الذي جاء العتاب لأجله، فضلاً عن ذلك جاء يحمل دلالة التأديب والترويض، والتنبيه والتذكير. ومن أروع صور العتاب ما جاء في القرآن الكريم

والعتاب أخف أنواع إظهار عدم الارتياح لسلوكٍ ما فعلاً أو تركاً وقد يستعمل، للدلالةِ عليه أسلوب الاستفهام للتخفيف من توجيهه، والتَّلَطُّفِ بنفس الموجه له) [9].

وكان للسياق أثر كبير في إبراز دلالة العتاب وهذا ما سنناقشه في هذا البحث.

السياق لغة:

(السين، والواو، والقاف، أصل واحد، وهو حَدْو الشيءِ يقال ساقهُ يسوقُهُ سَوْقاً، والسيقة ما استيق من الدواب، ويقال: سقت إلى امرأتي صداقها، وأسقته، والسوق مشتقة من هذا، لما يساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق. والساق للإنسان وغيره والجمع سُوُق، وإنما سُمِّيَت بذلك، لأن الماشي ينساق عليها) [10]. وجاء في أساس البلاغة (ومن المجاز: هو يسوق الحديث أحسن سياق، واليك سياق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه أي سرده)[11].

السياق في الاصطلاح:

(بيئة الكلام ومحيطه وقرائنه، أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة) [12] البيئة اللغوية المحيطة بالوحدة الصوتية، أو الوحدة البنيوية الصغرى، أو بالكلمة أو الجملة، ويعني الوحدات التي تسبق، وتلي وحدة لغوية محدّدة. كما يعني هذا التعبير (سياق) مجموعة العوامل الاجتماعية التي يمكن ان تُؤخذ بالحسبان لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والسلوك اللغوي[13] ويرى أولمان أن السياق (النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم)[14]، فالسياق (يشمل ضمّ الكلمات بعضها إلى بعض، وترابط أجزائها واتصالها أو تتابعها، وما توخيه من معنى وهي مجتمعة في النص والحديث) [15].

ويستعمل لفظ (السياق) مقابلاً للمصطلح الإنكليزي (Context) الذي يعنى به (المحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة اللغوية سواء أكانت كلمة أم جملة في إطار من العناصر اللغوية أو غير اللغوية) [16].

نفهم من هذه التعريفات أن الكلمات لا تعطي معنى واضحاً بمفردها بل بملاحظة السياق أي المفردات الأخرى التي تكون مجاورة لها[17]. بما معناه إننا لا نبحث عن الكلمة، بل يجب أن نبحث عن استعمالاتها داخل سياق معين[18] ولذا أكد أصحاب نظرية السياق أن دراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلاً للسياقات والمواقف التي ترد فيها[19]، فالسياق أثر مهم في تحديد المعنى الذي يتغير بناءً على الاستعمال إذ: (إن للكلمة عدة استعمالات سياقية، وكل سياق يظهر، أو يحدد أحد هذه المعاني، أو وجهاً منها) [20]، وعلى هذا التفسير يكون السياق نوعان:

النوع الأول السياق اللغوي (ويقصد به النص الذي تذكر فيه الكلمة، وما يشتمل عليه من عناصر لغوية مختلفة، تفيد في الكشف عن المعنى الوظيفي لهذه الكلمة)[21].

والنوع الثاني السياق غير اللغوي (الإطار الخارجي للغة): (ونقصد به الظروف المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه لكلمة أو بتعبير آخر دراسة الكلام في المحيط الذي يقع فيه)[22].

ويشمل السياق الخارجي[23].

1 - سياق الموقف.
2 - السياق العاطفي.
3 - السياق الثقافي.

السياق اللغوي

له أثر كبير في تحديد المفاهيم والدلالات، إذ يشرف على اختلاف دلالة الكلمة تبعاً لتغيير يمسُّ التركيب اللغوي، فهو نسق الكلام، الذي يقوم على ربط الكلمات بعلاقات سياقية أي ربطها بما قبلها وما بعدها في الكلام، كالتقديم والتأخير في أجزاء الجملة[24]، والسياق اللغوي وما يشتمل عليه من عناصر لغوية متعددة تفيد الإفصاح عن المعنى الوظيفي للكلمة فمعظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات دلالية أخرى، وإن دلالة هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الدلالية الأخرى المرتبطة بها والمجاورة لها[25].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾[26].

صعد: (صعد السلم صعوداً) [27]، والمعنى: (تذهبون في الأرض فراراً) [28] أصعد الرَّجلُ في الجبل وفي الأرض، فدلالة الإخفاء هنا من الاصعاد في الأرض فشبه الصّعود في الأرض بالصعود في غيرها[29]، ولا يظهر المعنى المقصود إلا بمراعاة السياق والوظيفة الدلالية للألفاظ المستعملة[30]، وقوله (ولا تلون) و(لوى) بمعنى (لوي الرجل رأسه وألوى برأسه) [31]، تلوون (هو من لي العنق؛ لأن من عرج على الشيء يلوي عنقه) [32] ولكن اللَّيُّ خرج إلى معنى دلالي آخر إذ إنَّ كلّ كلمة تنهل معناها في السياق الذي ترد فيه وترتبط به[33]، فاللَّيّ هنا (مجاز بمعنى الرَّحمة والرفق) [34]، فالسياق

اللغوي يوضح لنا الدلالات غير المعروفة للفظ، فجاءت هذه اللفظة (الليّ) بدلالة جديدة طبقاً للسياق الذي شكلة جزء منه[35] فيكون المعنى (فررتم لا يرحم أحدٌ أحداً، ولا يرفق بهِ، وهذا تمثيل للجد في الهروب حتَّى إنَّ الواحد ليدوس الآخر لو تعرَّض في طريقهِ)[36].

وقد عمد الأسلوب القرآني إلى هذا المعنى المجازي للكلمة؛ لتدل على معنى جديدٍ غير المعنى الحرفي لها، لدلالته على المعنى الذي عليه المقام. فالسياق الذي استخدمت فيه الكلمة هو الذي ساعد على إظهار هذه الدلالة[37].

وفي الآية نفسها ﴿ **إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ**﴾ تحول مدلول الفعل المضارع (تصعدون وتلوون) إلى دلالة جديدة أو دلالة أخرى بفعل قرينة لغوية سياقية (إذ) فصرفت الفعل المضارع من دلالته على الحال إلى دلالته على الماضي؛ لأن المضارع (ينصرف إلى المضي.. بإذ) [38] والمعنى (إذ جهدتم وما لويتم على أحد)[39] لأن إذ (ظرف لما مضى)[40] كما أن: ﴿**وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ**﴾ فيها من (العتب الشديد، إذ هو تذكار بفرار من فَرَّ وبالغ في الهروب في معركة أُحد... وهذا من أعظم العتب حيث فرَّ، والحالةُ أن رسول الله (ص) يدعوهُ إليه) [41] وقوله تعالى: (فأثابكم غمّاً بغمٍّ لكيلا تحزنوا) وأثاب من (ثوّبه من كذا عَوَّضهُ) [42] وقد أثوبه الله مثوبة حسنةً، يقال: أثابه يُثْبَه إثابةً، والإسم الثوّابُ) [43] نخلص من هذا إلى أن الدلالة المعجمية للفظة (ثوب) هي المكافئة على فعل الخير، والغمُّ ليس بخير، فيصبح الكلام مع لفظة (أثابكم) غير مفيد على الحقيقة فيصرف إلى المجاز ومن ثم يصبح الكشف عن المعنى معلقاً بالبحث عن علاقة معجمية بين الكلمتين[44]، فالبحث عن دلالة الكلمة لابد من أن يجري عن طريق التراكيب والسياق الذي ترد فيه، حيث ترتبط الكلمة بغيرها من الكلمات ممَّا يمنح كلاً منها قيمة تعبيرية جديدة، أي أن المعنى أو المعاني يحدد عن طريق علاقتها بما يسبقها وما يحلقها من التراكيب[45]، وخروج هذه الألفاظ (تصعدون، وتلوون، وأثابكم) من دلالاتها المعجمية إلى دلالات أُخرى يتطلبها السياق أدى إلى ظهور دلالة جديدة ألاّ وهي دلالة العتب الشديد، إذ إن (للسياق دوراً مزدوجاً يحصر مجال التأويلات ويدعم التأويل المقصود)[46].

وقولهِ (غماً بغمّ) (من الاغتمام بالقتل والجرح وظَفَر المشركين والإرجاف بقتل الرسول (صلّى الله عليه وسلّم)[47].

وقوله تعالى: ﴿ **لِكَيْلاَ تَحْزَنُواْ**﴾ (لا) زائدة والمعنى: لتحزنوا، فأسهمت هذه الزيادة في زيادة العتب والتنديم[48].

وقوله تعالى: (والله خبير بما تعملون) (فيه ترغيب في الطاعة وترهيب عن المعصية) [49] وقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ**﴾[50].

الآية الكريمة تضمنت عتاباً خفيفاً للزوجة التي أودعها الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) سره ويعني (ببعض أزواجه ما أسرَّ إلى حفصة) [51] وعبارة (إلى بعض أزواجه) لا يراد بها معناها الأصلي وإنما يراد بها معنًى آخر دلّ عليه ما بعدهُ قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ**﴾ بما معناه إنها كانت زوجة واحدة من أزواجه ولقد (كنّى عنها صيانةً لهن؛ لأن حرمتهن (رضي الله عنهن) من حرمته (ص)) [52](فاللفظ الكنائي نافع كذلك إذا أريد للشيء المعني أن يظل غير محدد)[53] وذلك (مراعاة للحال والمقام) [54].

وتحديد هذه الدلالة من إنها كانت زوجة واحدة بعد أن (عدل عن ذكر اسمها) [55] له دلالات أخرى، للتعرف عليها عن طريق علاقة ذهنية استدعائية[56]، والتوصل إلى الدلالة البعيدة المقصودة يأتي بعد القيام بعمليات فكرية وذهنية متدرجة في الاستدعاء حتى يكون بين الدلالة القريبة والدلالة البعيدة سفراً بعيداً[57]، فتكون الدلالة (ترفّعاً عن أن يكون القصد معرفة الأعيان وإنما المراد العلم بمغزى القِصَّةِ، وما فيها مِمَّا يجتنب مِثْلُهُ أو يقتدى به...، للإشارة إلى أن النبي (ص) وضع سِرُّهُ في موضعهِ؛ لإنَّ أوْلى الناس بمعرفةِ سرَّ الرَّجُلِ زوجُهُ، وفي ذلك تعريضٌ بملامِهَا على إفشاء سرّهِ)[58]، فيكون المعنى تهذيبي تعليمي لبناء علاقات أُسرية ناجحة، فضلاً عن أنّه يعطي دلالة (من الاكتفاء في الملام بذكر ما تستشعر به أنها المقصودة باللوّم) [59].

وقوله تعالى ﴿**فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ**﴾، وأظهره هنا جاء يحمل دلالة غير الدلالة المعجمية وهو مأخوذ من الظهور (الظفر بالشيء... وظهرت عليه: قويت عليه) [60] أي (بمعنى التغلب) [61] وهذا ما يُسمّى (المعنى الأصلي)[62] وهذه اللفظة خرجت عن دلالتهما الحقيقية إلى دلالة أُخرى، فقد (استعير الإظهار إلى الإطلاع، لأَنَّ إطلاع الله نبيه (ص) على السر الذي بين حفصة وعائشة كان غلبة له عليهما فيما دبرتاه فَشُبهت الحالةُ... بحال من يغالب) [63] إذ إن الكلمة داخل التركيب الذي ترد فيه لا يتضح معناه الحقيقي ولا تتحدّد دلالتها إلاّ عن طريق السياق بأنواعهِ المختلفة[64]، وهذا يعني ان للسياق أثراً كبيراً في تحديد المعاني، وفهم الكلام[65] (فمعنى الكلمة لا ينكشف، إلا بوضعها في سياقات مختلفة) [66].

فالظهور هنا (بمعنى الانتصار وليس هو من الظُّهور ضد الخفاءِ) [67]، فقد يستعير الأسلوب القرآني لفظاً على سبيل المجاز لا الحقيقية؛ للدلالة على المعنى الذي يقتضيه المقام[68] ومن ثم فإن خروج اللفظ من معناه المعجمي إلى معنى سياقي[69] يصل بنا إلى دلالة مهمة ألاّ وهي (عناية الله لرسوله (ص) وانتصارهِ لهُ) [70] وعتاب للزوجة التي لم تستطع الاحتفاظ بالسرّ وأطلعت غيرها عليه فقوله: (بعض أزواجهِ) يشير إلى هذا العتاب وقوله تعالى (عرَّف بعضه وأعرض عن بعضٍ) قرأ الجمهور (عرَّف) بشد الراء والبعض بتخفيف الراء) [71]، ولهذه القراءات بعدٌ دلالي في هذه اللفظة فيكون (المعنى بالتخفيف جازٍ بالعتب واللوم، كما تقول... لإعرفن لك هذا بمعنى لأُجازينّك عليه، ونحوه في المعنى قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا**﴾[النساء: 63]...، والمعنى مع

الشد في الراء عَلم به، وأنّب عليه) [72]، وقد (أعرض الرسول (ص) عن تعريف زوجه ببعض الحديث الذي أفشته من كرم خلقه في معاتبة المفشيةِ وتأديبها، إذ يحصل المقصود...، وما زاد على المقصود بقلب العتاب من عتاب إلى تقريع) [73].

ثانياً- السياق غير اللغوي:

1- سياق الموقف:

تكمن أهمية سياق الموقف في إجلاء الغموض وفهم معنى الكلام عن طريق مشاهدة المواقف، أي أن معاني الكلمات والجمل مرتبطة بعالم الخبرة غير اللغوي والتجارب والوقائع التي سِيقَ من أجلها الكلام[74]، وبذلك يكون المراد من سياق الموقف بأنه: (الموقف الخارجي الذي جرى فيه التفاهم بين شخصين، أو أكثر: ويشمل ذلك زمن المحادثة، ومكانها والعلاقة بين المتحادثين، والقيم المشتركة بينهم والكلام السابق للمحادثة)[75].

وسنرى الأثر الكبير لسياق الموقف في إبراز دلالة العتاب في الآيات المتضمنة لهذه الدلالة (العتاب). فأسباب نزول الآية تحدد معنى العتاب لأننا لا نستطيع أدراك معنى الآية إلا بمعرفة السياق الذي جاءت فيه والموقف الذي جاءت لأجله.

1 - قوله تعالى: ﴿**لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ۞ لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ**﴾[76].

إن الموقف الذي نزلت من أجله هذه الآيات هو حادثة الإفك وهي حديث اختلقه المنافقون، ووقع فيه بعض الصحابة حينما تكلموا عن أُم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) وملخص هذه الحادثة، أن النبي (ص) لَمّا قفل راجعاً من غزوة بني المصطلق، وكانت بصحبة رسول الله (ص) في هذه الغزوة أُم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) فأَذِنَ (عليه الصلاة والسلام) بالرحيل آخر الليل، فلمّا علمت أُم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) خرجت لقضاء شأنها، وعندما فرغت أقبلت، فافتقدت عقداً كان في صدرها، فرجعت على طريقها تلتمسه، وبينما وجدته كان القوم قد رحلوا وتركوها، فباتت ليلتها في مكانها رجاء ان يفتقدها فيرجعوا إليها، فكان صفوان بن المعطِّل السَّلَمي قد أوكل إليه النبي (ص) حراسة ساقة الجيش، فلمَّا أمِن عليه من غدر العدوّ ركب راحلته فبلغ الموضع الذي كان به الجيش، يَصُرَ سواء إنسان، فإذا هي عائشة، وكان يعرفها؛ لأنه رآها قبل الحجاب فما كان منه إلا أن أوصلها إلى القوم، وتكلم الناس عنها دون بينة أو شهود، وظنوا أنها وقعت بذنب (رضي الله عنها) وخاض المنافقون وبعض المؤمنين بشيء عظيم إلى أن أنزل الله براءتها (رضي الله عنها) من وراء سبع سموات[77] وفي هاتين الآيتين (عتاب للمؤمنين) [78] فقوله تعالى: ﴿ **لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ**﴾ هنا فصل بين لولا والفعل بالظرف، والناظر في سياق الحال الذي سيقت فيه الآيات يفهم علة هذا التقديم، فالعلم بأسباب النزول من أهم الضوابط في الوصول إلى المعنى المقصود، فالسياق القرآني جاء معالجاً لوقائع وقعت كما في حادثة الإفك، فلا بد من معرفة سياق الحال ليتضح سياق المقال[79].

فبعد معرفة سبب النزول نستطيع إدراك علة هذا التقديم ألا وهي: كان يتوجب عليهم أن يتفادوا أو ما سمعوا بالإفك عن التكلم به، فكان ذكر الوقت أهم فلذا وجب التقديم[80]، وقوله (ظن المؤمنين والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين) (فاسند السماع إلى جميع المخاطبين.. وإن كان المقصود دون عدد الجمع فإن من لم يظن خيراً رجلات، فعبَّر عنهما بالمؤمنين وامرأة فعبر عنها بالمؤمنات) [81] ليطابق سياق الحال فليس المعنى النحوي بمعزل عن هذا السياق، فمراعاة سياق الموقف شرط من شروط صحة الكلام فتؤدي بناءً على ذلك إلى الاهتمام بعنصر الاختيار، ومراعاة هذا السّياق وموافقة الكلام له تصل بنا إلى العمل بالمعنى الحقيقي المراد من الكلام فيؤتي ثماره من التأثير في المستخفين[82]، فبيان (سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن) [83] فنستطيع معرفة وتحديد الأشخاص المعنيين من خلال سياق الموقف والقرائن الحالية، ولا شك أن لها دخلاً كبيراً في تفسير الآية وتحديد معناها[84]، ثم عدل من الخطاب (سمعتموه) إلى لفظ الغيبة في قوله تعالى(ظن المؤمنون)، فضلاً عن عدوله من الضمير إلى الظاهر، وعلة ذلك كما يرى أبو حيان الأندلسي (ت745هـ) (ليبالغ في التوبيخ بطريق الالتفات، وليصرح بلفظ الإيمان دلالةً أنَّ الاشتراك فيه مقتضٍ أنْ لا يُصَدِّق مُؤمِنٌ على أخيه قول عائب ولا طاعن، وفيه تنبيه على أنَّ حقَّ المؤمن إذا سَمِع قالةً في أخيهِ أنْ يبني الأمر فيه على ظن الخير، وأن يقول بناءً على ظنهِ هذا إفكٌ مبين هكذا باللفظ الصَّريح ببراءة أخيه كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال)[85].

2 - قوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾[86].

الموقف الذي نزلت لأجله هذه الآية أنّ المؤمنين قالوا قبل أن يؤمروا بالقتال: لو نعلم أحبّ الأعمال إلى الله تعالى لعملناه ولبذلنا فيه أمولنا وأنفسنا فدّلهم الله تعالى على أحبّ الأعمال إليه، جهاد في سبيله، فابتلوا يوم أُحدٍ بذلك فولوا مدبرين، ولم يفوا بما وعدوا[87]، فـ(فرّ من فرّ فعاتبهم الله بهذه الآية)[88]، فالنداء في هذا الموضع من الآية وهي من الآيات

التي تضمنت معنى العتاب خرج عن معناه الأصلي إلى معنى دلالي وهو التكريم بدلالة القرينة اللفظية (آمنوا) وفي استعمال هذه الأداة أكد في التنبيه[89]، فضلاً عن أن الآية جاءت بتركيب (يا أيها الذين آمنوا) الذي انماز بصفات صوتية موحية ومعبرة بالعطف واللطف فكل لفظة فيه تنهل من السياق الذي ترتبط به[90] فقد ألقت بضلالها لإفادة المعنى ولتحرز التكامل مع غيرها من الكلمات في نسق تركيبي خاص يضفي عليها حالات ما كانت تفهم لولا هذا الاستعمال[91]، مواكبة بذلك سياق الآية فهذا النداء (بصفة الإيمان الحق، لتحريك حرارة الإيمان في قلوبهم) [92]، فهذه في الآية مهدت للانتقال إلى الغرض الأساس من الآية فـ(معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أُخرى، وإن معاني هذه الوحدات لا ينكشف ولا يمكن تحديده إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها[93]. فالاستفهام خرج معناه الأصلي إلى دلالة أُخرى الا وهي (التلطف في العتب) [94] فالتركيز على الألفاظ (آمنوا) و(تقولون) و(تفعلون) هو من ساعد على كشف هذه الدلالة (العتب) على أن مدار العتب في الحقيقة (عدم فعلهم، وإنما وجه إلى قولهم تنبيها على تضاعيف معصيتهم ببيان أن المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط، بل الوعد أيضاً، ولو قيل: لم لا تفعلون ما تقولون لفهم منه أن المنكر هو ترك الموعود) [95] فقد تقدم الذي بيانه أهم، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم[96]، وهذا يؤكد الأثر المهم للسياق بضروبه وأشكاله وأنواعه المختلفة في تحديد الدلالة التي تخمد فيه، ولا توجد خارجه[97]، بما معناه ضرورة الاهتمام بالسياق اللغوي فضلاً عن العناية بسياق الحال وعناصره المعينة على فهم النص القرآني، والتعرف على الملابسات والظروف المحيطة به عند نزوله لما لها من أثر بالغ في الوصول إلى المعنى المنشود[98].

وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ**﴾[99]. (نزلت هذه الآية في الحثّ على غزوة تبوك، ذلك أن رسول الله ص لما رجع من الطائف وغزوة حنين أمَرَ بالجهاد لغزو الروم، وذلك في زمان عُسِرة من الناس، وجدبٍ في البلاد، وشدة من الحرّ، حين أحرقت النخلُ وطابت الثمار، فَعَظُمَ على الناس غزوة الروم وأحبوا الظلال والمقام في المساكن والمال وشقّ عليهم الخروج إلى القتال، فلما علم الله تثاقل الناس أنزل هذه الآية) [100] و(لا خلاف أنّ هذه الآية نزلت عتاباً على تخلف من تخلف)[101] فقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ**﴾، وهذا (ابتداء خطاب للمؤمنين، للتحريض على الجهاد في سبيل الله، بطريقة العتاب على التباطؤ بإجابة دعوة النفير إلى الجهاد) [102] فالاستفهام بما يناسب الحال التي كانوا عليها من شدة الحر، إطراف النخيل، وطيب الثمار وغيرها من الأمور، ذلك أنّ (ما) يستفهم بها عن حقيقة الشيء وصفته، إن كان هذا الشيء عاقلاً أم غير عاقل[103]، وبهذا فإن الاستفهام خرج عن معناه الأصلي إلى معنى دلالي أوجده السياق، فللكلمة معانٍ كثيرة، وهذا يعني ان الكلمات ليست وحدات معزولة فهي مرتبطة مع بعضها ببعض ارتباط متبادل ومعنى الكلمة لا يتحدد إيجابياً بمدلوله فقط، وإنما سلبياً بعلاقاته مع الوحدات الأُخرى داخل السياق[104]، وفي هذه الآية استعملت إذا ظرفا للدلالة على الماضي مع أن الغالب استعمالها في المستقبل[105]، فالوصول إلى تحديد المعنى أمر لا يتأتى إلا عن طريق التركيب فضلاً عن السياق الذي يعبر عن الدلالة المقصودة، فاللفظة إذا انتظمت في جملة لتؤدي معنى محدداً من بين الكثير من المعاني المحيطة بها لا سبيل إلى إفادتها للمعنًى المقصود إلا بالتركيب فضلاً عن سياق الموقف الذي ينتج المعنى ويؤسس الدلالة[106]، من حيث إنّ دلالة الكلمة يحكمها السياق ونظام التركيب المنطقي له بين السابق واللاحق من الكلمات، فعندما تدخل الكلمة في تركيب سياقي ما، فإنها تكتسب دلالتها من علاقتها مع السابقة واللاحقة من الكلمات ومن خلال ضمنيتها تتشكل لها ملامح ومعانٍ سياقية تتشكل لها هوية ما لم تنتقل من سلطة ذلك السياق لتدخل في سياق آخر[107]، وبناءً عليه فإن (إذا طرف تعلق بمعنى الاستفهام الإنكاري على معنى: إنّ الإنكاري حاصِل في ذلك الزّمان الذي قيل لهم فيه: انفروا، وليس مضمّناً معنى الشرط؛ لأنّه ظرف مُضيّ)[108].

كما أن قوله تعالى: (قيل)، فقد بُني الفعل للمجهول أي على عدم ذكر الفاعل؛ وذلك لغرض، فإن الفعل لا يذكر فاعلهُ وهو هنا (يريد النبي محمدص... يقتضي إغلاظاً ومخاشنة) [109].

وقوله تعالى (في سبيل الله) السبيل (الطريق وما وضح منه،... وسبيل الله: طريق الهدى الذي دعا إليه) [110] ولكن لفظة (السبيل) هنا خرجت إلى معنى جديد ارتضاه السياق لها، ففي هذه الآية السبيل هنا يعني (الجهاد سمي بذلك لأنه كالطريق الموصِّل إلى الله، أي إلى رضاهُ) [111]، فالاستعارة هنا تقوم بدور مهم، إذ تعد وسيلة لخلق معنًى جديدٍ، فإن هذين المعنيين يعدان متصلين[112].

وقوله (إثاقلتم إلى الأرض) التثاقل (تكلف الثقل...، وهو مستعمل هنا في البطءِ مجازاً مرسلاً) [113]، ذلك ان معنى الوحدة الكلامية يتجاوز ما يقال فعلاً إلى ما هو مقصود ضمناً، وللسياق صلة وثيقة بهذا الجزء من معنى الوحدات الكلامية[114]، فجاءت هذه اللفظة لتصور المعنى أروع تصوير، فقد رسمت صورة يدركها الخيال، فضلاً عن نعمة أصواتها التي جاءت هي الأُخرى، لتعبر عن المعنى المراد أيما تعبير[115]، فتضافرت الدلالة اللغوية مع سياق الحال؛ لتخرج لنا بهذه الصورة؛ (لأن تباطُؤهم عن الغزو...، كان من أعظم بواعثه رغبتهم البقاء في حوائطهم وثمارهم) [116] وقوله تعالى (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) جاء الاستفهام هنا (للإنكار والتوبيخ المقترنين بالتعجب) [117]، كما إنه جاء بالفعل رضيتم دون آثرتم[118]، فلا (يتصور أن تعرف للفظ موضعاً من غير أن تعرف معناه) [119] إذ إن دلالة اللفظ يتُوصلُ إليها من المعنى الدالّ عليه من خلال وجوده في النظم[120]، وهذا الفعل يدل على انشراح النّفس فاختير هنا في هذا الآية للمبالغة في الإنكار[121]، (فالوحدة اللغوية (الكلمة) لا يمكن لها أن تظهر دلالياً بوضوح رؤية إلا من خلال الوحدات المجاورة لها) [122] والـ(من) هنا أعطت معنى البدلية[123] فيكون المعنى (بدل الآخرة) [124].

والذي ساعد على التوصل إلى هذا المعنى هو السياق، إذ لا تكون الجملة ولا الجزء منها حاملاً لمعنى إلا إذا أمكن ان تستخدم في سياق معين كما في هذه الآية وعلى نحو ملائم لما سبقها وما بعدها[125]، وقوله تعالى: (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل) فإنه أظهر في مقام الإظهار؛ لزيادة التقرير، وليبالغ في بيان حقارة الدنيا ودناءتها بالنسبة للآخرة[126]، و(في) هنا أعطت معنى المقايسة[127] (لأن المقيس يوضع في جنب ما يقاس به) [128] أي (بالقياس إلى الآخرة) [129] وبعدُ هذا فإنّ الدلالة المستوحاة من هذه الآية القرآنية تصل بنا إلى دلالة الشدة في العتاب، (فإن الألفاظ لم تقصد لذواتها، وإنما هي أدلة يستدل بها على مراد المتكلم، فإذا ظهر مراده ووضح بأي طريق كان، عُمل بمقتضاها سواء أكانت بإشارة، أم كتابة، أم بإيماء، أم دلالة عقلية، أم قرينة حالية) [130].

2- السياق العاطفي:

إن السياق العاطفي هو الذي يحدد درجة القوة والضعف في الانفعالات الإنسانية، مما يقتضي تأكيداً أو مبالغة، أو اعتدالاً[131]، أي هو السياق الذي يتولى الكشف عن المعنى الوجداني والذي قد يكون متغير، ومختلف، من شخص إلى آخر[132]، فمثلاً عند التعبير عن أمر أو حادثة تقع فيها غضب وشدة توتر وانفعال، فإن الكلمات تكون ذات شحنة تعبيرية قوية تتلاءم، والحادثة التي يمرُّ بها المتكلم إلى درجة إنه لا يقصد استعمال هذه الكلمات: مثل القتل والذبح... أو غير ذلك وعنصر القيمة العاطفية يساهم كذلك في تحديد معاني الكلمات التي تضمنتها آيات العتاب في سياق عاطفي كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاء وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[133] هذه الآية بيان لحال نبيه موسى (عليه السلام) وعتابه على أخيه، فكان رجوعه على أخيه، على حالة من الغضب والأسف؛ لأن الله كان قد أخبره أن قومَه قد فُتِنُوا في غيابهِ، وأن السامري قد أضلّهم[134]، وعاتب أخاهُ هارون (عليهما السلام) على التقصير المظنون بحكم الرياسة وفرط الحمية والغيرة على الدين[135].

فقوله تعالى ﴿**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا**﴾ أي (بعد رجوعه من الميقات إثر ما وقع من قومه) [136] وقوله تعالى (غضبان أسفاً) فغضبان على وزن فعلان، و(الغضب من المخلوقين شيء يداخل قُلُوبَهم، ومنه محمود، ومذموم، فالمحمود بما كان من جانب الدّين والحقّ) [137] فكلمة (غضبان) وعلى هذه الصيغة وظِفت توظيفاً ناسب الحال التي كان عليها النبي موسى (÷)، فالكلمات تستطيع التعبير عن العواطف، والمشاعر، والأحاسيس، والانفعالات بفعل المضمون العاطفي الذي تكتسبه في بعض المواقف المعينة[138]، كما في هذا الموقف من (شدة الهيجان والثورة) [139]، فالسياق هو الحكم في انتقاء اللفظة التي يكون لها تأثير يتلاءم ومجريات الأحداث[140]، وكلمة (أسِفاً) هي الحالة الأخرى التي كان عليها التي موسى (عليه السلام) والأسف هنا جاء بمعنيين: (أنَّ الأسف الشدَّيد الغضب... والثاني أن الأسف والحُزن... والقولان متقاربان فإذا جاءَك ما تكره مِمَّن هو دونك غضب وإذا جاءَك مَمَّن هو فوقك حزنت..، فعلى هذا كان موسى (عليه السلام) غضبان على قومه لأجل عبادتهم العجل، أسِفاً حزيناً؛ لأنَ الله تعالى فتنهم)[141] فالحال التي كان عليها موسى (وإيراد هذين الوصفين دليل على تعدد مصادر الألم) [142].

كما قد تتعدد مصادر السياق العاطفي في معنى الكلمة، فأحياناً المعنى بطبيعته مثيراً للشعور والإحساسات والانفعالات اللغوية[143]، فضلاً عن أن هذه الصفات لا تحرز التكامل مع غيرها من الألفاظ في نسق تركيب خاص يضفي عليها حالات ما كانت تفهم لولا هذا الاستعمال) [144] في سياق هذه الآية، فضلاً عن أن انفعال الغضب والحزن كان واضحاً في قوله، وفعله ففي قوله لقومه (بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتهم أمر بكم)، وفي هذا (خطاب لهارون ووجوه القوم؛ لأنّهم خلفاء موسى في قومهم فيكون خلفتموني مستعملاً في حقيقته، ويجوز ان يكون الخطاب لجميع القوم، فأما هارون فلِأنَّهُ لم يُحْسِن الخلافة بسياسة الأُمّة كما كان يومها موسى، وأما القوم فلأنّهم عبدوا العجل بعد غيبة موسى...، فهم لما تركوا ما كان يفعله موسى من عبادة الله وصاروا إلى عبادة العجل، فقد انحرفوا عن سيرته فلم يخلفوه في سيرته وإطلاق الخلافة على هذا المعنى مجاز فيكون، فعل خاصته مستعملاً في حقيقته ومجازه) [145] فعلاقة اللفظ بالمعنى علاقة قوية ولولا المعنى لما كان للفظ دلالة ولكان مهملاً ويقصد به هنا اللفظ الوضعي، وهو المعنى الذي تضمه المعجمات، أما الدلالة فهي القيمة التي تكتسبها الكلمة عندما تنتظم مع غيرها في سياق[146] المعاجم، فالكثير من الكلمات اللغوية تكتسب دلالتها عن طريق السياقات الحياتية والاجتماعية[147]، أي: ربط العناصر اللغوية بعلاقاتها الخارجية بمعنى ما تدلّ عليه في الخارج[148] وقوله: (أعجلتم أمر بكم) الاستفهام هنا (للإنكار) [149]، فيكون المعنى (أعجلتم عمّا أمركم به ربكم، وهو انتظار موسى (عليه السلام) حال كونهم حافظين لعهده وما وصاهم به، فبينتم الأمر على أن الميعاد قد بلغ آخره، ولم أرجع إليكم فحدثتم أنفسكم بموتي فغيرتم) [150] كما أن لفظة (عَجل) فيها معنيان: (عجِل عن الأمر إذا تركه غير تامَّ، ونقيضه تمَّ) [151]، وعلى هذا يكون أقر(منصوب على المفعول بعد إسقاط الخافض وتضمن الفعل معنى ما يتعدى بنفسه) [152] أي: (أعجله عنه غيره، ويضمن معنى سبق فيعُدّى تعديته) [153] والثاني: (إنّه متعدٍّ بنفسه غير مضمّن معنى فعل آخر)[154]، فيكون التفسير الدلالي النحوي مركباً من المعنى الأصلي وهو معنى الترابط والعلاقات بين الوظائف النحوية بشروطها ومن اختيار المفردات التي تشغل هذه الوظائف معاً[155] وقوله تعالى (وألقى الألواح) وهذا من آثار الغضب الفعلية (وما ذكر القرآن ذلك الإلقاء إلاّ للدلالة على هذا المعنى فهناك علاقة بين حركات الإنسان، وما يمرُّ به من مواقف وحالات نفسية وانفعالية ووجدانية، وإلقاء الألواح، يعد من قبيل الإشارة التي تكون فعلاً دلالياً يعبر به المتكلم عمّا بداخله من الانفعالات والمشاعر والاحاسيس فإلقاء الألواح تعبيراً عن الغضب[156]، فمن خلال هذه العلاقة بين السلوك الكلامي والسلوك غير الكلامي يعطينا دلالة عن درجة الانفعال والتفاعل مع الموقف بين النبي موسى عليه السلام من جانب وقومهِ من جانب

آخر[157]، فضلاً عن هذا الموقف المصحوب بهذه الإشارات الجسمية يوضح لنا جانب الدلالة البعيد الا وهو شخصية النبي موسى (عليه السلام)، أنه (كان في خلقهِ ضيق، وكان شديداً عند الغضب) [158] كما إن هذه الأحداث والمواقف والانفعالات تمهد لتصل بنا إلى مدلول آخر من الآية إلا وهو (أخذ برأس أخيه يجُرَّهُ إليه) (عتاباً عليه لا هو نابه) [159] و(أخذ) هذا هو الفعل الثاني المتولد هو الآخر عن الغضب[160] وهذا الأخذ بالرأس والجر هو الآخر فلهذه الحركات في سياق الآية مدلولات الا وهي تأكيد درجة الانفعال؛ لكونها مصاحبة للكلام، فهناك تفاعل متبادل بين الحركة الجسمية بصفتها إشارة ومدلولها هذا من جانب، وأن بين الحركة الجسمية، وسياق الحال ارتباطاً من جانب آخر، بحيث يستدعي سياق الحال حركة جسمية معينة لتعطي دلالة معينة تناسب الموقف والحال التي كان كل من النبي موسى وهارون (عليهما السلام)، فسياق الحال هو الذي يشكل هذه الحركات وينتجها لدى المتكلم، كما يجعل المتكلم يتفوه بكلمات أو عبارات مناسبة لهذه الحال[161]، فمن هذه الصورة للموقف يتضح أنّه لم يقصد بهذا الأخذ (إهانته والاستخفاف به، بل اللوم الفعلي على التقصير المظنون بحكم الرياسة وفرط الحمية) [162] وإنما كان ذلك تأنيباً(لهارون على عدم أخذهِ بالشَّدَّة على عبدة العجل) [163] ومن ثم فأن العتاب هنا كان على أشدِّهِ.

3- السياق الثقافي:

القيم الثقافية والاجتماعية التي تحيط بالكلمة إذ تأخذ ضمنه دلالة معينة، وقد أشار علماء اللغة إلى ضرورة وجود هذه المرجعية في بيئة ثقافية واحدة لتحقيق التواصل والإبلاغ، وتخضع القيم الثقافية للطابع الخصوصي الذي يلزم كل نظام لغوي يميزه ثقافية معينة[164]، فالاختلاف في البيئات الاجتماعية والثقافية يؤدي إلى اختلاف دلالة الكلمة من بيئة إلى أخرى[165]، وعليه فإن الآيات التي نحن بصددها لا يفهم المقصود منها إلا إذا راعينا في تحليلنا الظروف المحيطة والأعراف الاجتماعية والثقافية المتعارف عليها[166] في الزمان الذي تتحدث عنه الآية، فالكثير من المحفزات الذهنية والدلالات العامة سيفقدها النص إذا ما عزل عن سياقاته الخارجية وإطاره الثقافي، ولعلّ أهم ما يمثل السياقات الثقافية التي يخرج فيها اللفظ عن معناه الساري المتداول هي كون اللفظ مستعملاً في سياق الأمثال المتداولة، والتي تختلف باختلاف الثقافات والمجتمعات والشعوب[167]، ومثال على قوله تعالى: ﴿**وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ۞ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ۞ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ۞قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ**﴾[168] (كان أهل زمان داود (عليه السلام) يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل له عن امرأته، فيتزوجها إذا أعجبته، وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها، وقد روينا أن الأنصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك، فاتفق أن عين داود (عليه السلام) وقعت على امرأة رجل يقال له (أوربا) فأحبها، فسأله النزول له عنها، فاستحيا أن يرده ففعل، فتزوجها وهي أم سليمان) [169].

فهذه الآيات في مضمونها عتاب للنبي داود (عليه السلام) فقال تعالى (هل أتاك نبأ الخصم إذ تسوّروا المحراب) الاستفهام هنا أفاد (التنبيه) [170] والخصم في الأصل مصدر[171] ولذلك يطلق على الواحد والجمع والمثنى[172] وقوله تعالى (إذ تسوّرا المحراب) أي تصعّدوا سوره ولم يدخلوا من الباب ولذلك فزع وخاف[173] وقال تعالى: (إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان يعني بعضا على بعضٍ فأحكم بيننا بالحق ولا تشطط وإهدنا إلى سواء السبيل).

تطالعنا لفظة (خصمان) الدالة على الاثنين على حين أن ذلك مخالف لما يقتضيه ظاهر السياق الحافل بالضمائر الدالة على الجمع[174] (دخلوا، منهم، قالوا) فتحول عن صيغة الجمع إلى التثنية، وقد استقام ذلك كما يرى الزمخشري؛ لأن الخصمان بمعنى (فريقان)[175]، فالعلاقة المترابطة بين السياق اللغوي والسياق الحالي الذي تنتظم بداخله العملية اللغوية، ويمكن الكشف عن كيفية تداعي دلالة الكلمة داخل السياق[176]، وأن هذه الدلالة التي جاءت بها لفظة (خصمان) بمعنى فريقان لا تتنافى(مع ما هو معلوم من سياق تلك القصة من أن الخصومة كانت بين شخصين) [177]، فكان مع كل واحد منها صحب وأعوان يعاضدون في خصومته ضد الآخر فهما إذن فريقان[178] وقوله (فأحكم بيننا بالحق ولا تشطط وأهدنا إلى سواء الصراط) (سأله ذلك مع العلم بأنه لا يحكم إلا بالعدل ليكون أجدر بالمعاتبة عند أدنى هفوة) [179] وقوله (إنَّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب) (وهذه الأخوة مستعارة، إذ هما ملكان، لكن من حيث تصورا آدميين تكلما بالأخوة التي بينهما في الدين والإيمان) [180]، فقد ننقل هذا اللفظ (أخي) من معناه الأصلي إلى معنًى ارتضاه السياق له، فقد حرص القرآن الكريم على اختيار الكلمات بحسب سياق المقام[181]، فسياق المقام هو الأساس في تشكيل الاستعارة، فجاء التعبير بالأخوة من خلال ما يلاحظ من خواص العلاقات والترابط بين المجتمعات، فينطبع في الذهن بأن لكل شيء أمر يختص به دون سواه[182].

وقوله (له تسعٌ وتسعون نعجةً ولي نعجةٌ واحدة) والنعجة هنا (كناية عن المرأة)[183]، وأرادوا التعبير عن الحادثة التي وقعت للنبي داود بطريقة غير مباشرة، فالكناية عملية تصورية فكرية إحالية، عن طريق استعمال كيان للإحالة على كيان آخر بينهما علاقة معينة[184]، وبذلك يكون ترابط في سياق الآية اللغوي وغير اللغوي، أي أنه بعد الاتكاء على السياق يتوضح معنى الآية والمقصود منها، وتتوضح الصورة الكنائية التي تجيء وكأنها لحمة ملتحمة في البناء اللغوي تتشابك مع غيرها في هذا البناء، لإبراز الحقيقة المعنوية التي يتضمنها السياق كله الثقافي واللغوي، ولهذا فإن تجزئة النص القرآني والنظر إليه بمعزل عن السياق الخارجي يؤدي إلى الإخلال بالمراد من الآيات وعدم التمكن من الوصول إلى المقصود[185]، وتسع وتسعون نعجة إشارة إلى أن النبي داود كان لديه تسع وتسعون امرأة ولي نعجة واحدة إشارة إلى ذلك

الرجل الذي لم تكن له إلاّ تلك المرأة الواحدة[186]، وقوله تعالى (أكفلنيها وعزني في الخطاب) أي (أجعلها في نصيبي... وكان أوجه مني وأقوى فإذا خاطبته كان كلامه أقوى من كلامي وقوته أعظم من قوتي) [187].

ومفاد هذه القضية أنها تحمل في طياتها عتاباً لنبي الله داود (عليه السلام) لما وقع له من حادثة مع (أوربا) (فقد كانا ملكين أرسلهما الله في صورة رجلين لداود (عليه السلام) لإبلاغ هذا التمثيل إليه عتاباً له) [188] أي: (عتب الله على داود أن استعمل لنفسه هذا المباح فعاتبه بهذا المثل المشخص) [189] فجاء العتاب على طريق التمثيل من دون التصريح للتلطف، فالتأمل في هذه القصة كان أوقع في نفس النبي داود وأشد تمكناً من قلبه وأعظم أثراً[190]، وبهذا قد تعاضد سياق الموقف مع السياق الثقافي على استخراج دلالة اللطف في العتاب.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله الطاهرين، أما بعد فقد وصلنا إلى نهاية البحث وتوصلنا إلى جملة من النتائج أهمها:

1 - العتاب في القرآن الكريم لا يتمثل بصورة ألفاظ وإنما ان نستشفه عن طريق السياق.
2 - كان للسياق اللغوي الأثر الكبير في تحديد مفهوم العتاب، إذ يقوم بربط الكلمات بعلاقات سياقية، أي ربطها بما قبلها وما بعدها من الكلام.
3 - وقد وجد البحث أن للسياق الموقف أثر بارز في تحديد معنى الآية وإبراز دلالة العتاب، فإدراك معنى الآية لا يكون إلا بمعرفة الموقف الذي جاءت لأجله.
4 - السياق العاطفي هو الذي يتولى الكشف عن المعنى الوجداني الذي قد يكون متغيراً ومختلفاً من شخص لآخر، فهو الذي يحدد درجة القوة والضعف في الانفعالات الإنسانية، وبالتالي تحديد دلالة العتاب ما إذا كانت شديدة أو لطيفة في الآيات الذي تضمنت من هذه الانفعالات العاطفية، التي قد تتعدد مصادرها فأحياناً يكون اللفظ وطبيعته مثيراً للشعور والإحساسات والانفعالات.
5 - القيم الثقافية والاجتماعية التي تحيط بالحدث الكلامي لها أثر كبير في تحديد المعنى وإبراز الدلالة المعنية، فالقيم الثقافية تخضع للطابع الخصوصي الذي يلزم كل نظام لغوي بميزة ثقافية معينة فالاختلاف في البيئات الاجتماعية والثقافية يؤدي إلى اختلاف دلالة الكلمة من بيئة إلى أخرى.

هوامش البحث

---

[1] ينظر: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، الدكتور عبد الفتاح عبد العليم البركاوي: 9.
[2] ينظر: المعنى خارج النص، فاطمة الشيدي: 6.
[3] دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان: 68.
[4] ينظر: معجم العين، للخليل أحمد الفراهيدي (ت170هـ)، مادة (عتب): 76/2، جمهرة اللغة لابن دريد الأزدي (ت32هـ): 255/1، تهذيب اللغة، أبو منصور الهروي(ت370هـ): 165/2، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، حمّاد الجوهري (ت393هـ)، مادة (عتب): 176/1.
[5] عليّ: بهجة المجالس، ابن عبد البر (ت463)، المجلد الثاني من القسم الأول: 228.
[6] الزهد والرقائق، لابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك (ت181هـ): 268.
[7] النهاية في غريب الحدث والأثر، مجد الدين ابن الأثير: 175/3.
[8] ينظر: مقاييس اللغة أحمد بن فارس(ت395)، مادة عتب: 225/4، ومجمل اللغة، أحمد بن فارس، مادة عتب: 646/1.
[9] البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حينكة الميداني الدمشقي (ت1425هـ): 280/1.
[10] مقياس اللغة: مادة (سوق): 117/3.
[11] أساس البلاغة: مادة (سوق): 484/1.
[12] معجم المصطلحات الأدبية، د. إبراهيم فتحي: 201.
[13] ينظر: معجم المصطلحات الألسنية، د. مبارك مبارك: 61.
[14] دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان: 68.
[15] الدلالة السياقية عند اللغويين، د. عواطف كنوش: 52.
[16] دلالة السياق، د. ردة الله بن ردة: 51.
[17] ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عصر: 68.
[18] ينظر: التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه: 95.
[19] ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر: 69.
[20] العربية وعلم اللغة الحديث، د. محمد محمد داود: 196.

[21] من قضايا اللغة، أ.د. مصطفى النحاس: 81.
[22] الدلالة السياقية عند اللغويين: 76.
[23] ينظر: علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، د. فريد عوض: 159-162، علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة، د. حسام البهنساوي: 70-71.
[24] ينظر: مناهج البحث في اللغة: 199، وعلم الدلالة أُصوله ومباحثه في التراث العربي، د. منقود عبد الجليل: 90.
[25] ينظر: علم الدلالة أحمد مختار عصر: 68-69، والنحو والسياق الصوتي، د. أحمد الكشك: 47.
[26] سورة آل عمران، الآية: 153.
[27] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: 497/2.
[28] التحرير والتنوير: 131/4.
[29] ينظر: الاضداد، ابن الأنباري (ت328هـ): 315.
[30] ينظر: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، د. محمد محمد يونس علي: 28.
[31] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: 497/2.
[32] البحر المحيط: 386/3.
[33] ينظر: علم الدلالة، بير جيرو، ترجمة: د. منذر عياشي: 56.
[34] التحرير والتنوير: 131/4.
[35] ينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين: 53.
[36] التحرير والتنوير: 131/4.
[37] ينظر: الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى، د. صلاح الدين زوال، (ط1-2008م): 373-+374، ومن الإعجاز اللغوي في القرآن، د. مصطفى شعبان المصري، (ط1-2012م): 410.
[38] شرح التسهيل: 27/1، وينظر: المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف: 23.
[39] البحر المحيط: 388/3.
[40] المصدر نفسه: 388/3.
[41] البحر المحيط: 384/3.
[42] المحكم والمحيط الأعظم، مادة (ثوب)، أبو الحسن بن سيدة (ت458ه): 218/10.
[43] لسان العرب، مادة (ثوب): 245/1.
[44] ينظر: مقالات في اللغة والأدب، تمام حسان: 68-69.
[45] ينظر: علم الدلالة دراسة وتطبيق، د. نور الهدى لوشن: 96، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: 193.
[46] لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، محمد خطابي: 52.
[47] إرشاد العقل السليم: 100/2.
[48] ينظر: التحرير والتنوير: 132/4.
[49] روح المعاني: 305/2.
[50] سورة التحريم، الآية: 3.
[51] مفاتيح الغيب: 569/30.
[52] نظم الدر: 185/20.
[53] النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند: 325.
[54] علم الدلالة التطبيقي، هادي نهر: 347.
[55] التحرير والتنوير: 352/28.
[56] ينظر: البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حبنكة: 137/2، ودلالة السياق: 359.
[57] ينظر: الأصول، تمام حسان: 338.
[58] التحرير والتنوير: 352/8.
[59] التحرير والتنوير: 352/28.
[60] لسان العربي، مادة (ظهر): 526/4.
[61] التفسير الوسيط: 470/4.
[62] التطور الدلالي يبين لغة الشعر ولغة القرآن، عودة خليل: 69.
[63] التحرير والتنوير: 352/28.
[64] ينظر: الدلالة – دراسة تطبيق، نور الهدى لوشن: 95، ودقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، أطروحة دكتوراه، محمد ياس خضر الدوري: 36.
[65] ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية: 183.

(66) علم الدلالة، د. فريد عوض: 157.
(67) التحرير والتنوير: 353/28.
(68) ينظر: من الإعجاز اللغوي في القرآن: 41.
(69) ينظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن: 69.
(70) التحرير والتنوير: 353/28.
(71) البحر المحيط: 210/10.
(72) المحرر الوجيز: 331/5.
(73) التحرير والتنوير: 353/28.
(74) ينظر: علم الدلالة- بالمر، ترجمة: د. مجيد الماشطة: 65، والنص والسياق، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني: 258.
(75) علم الدلالة، د. فريد عوض: 160.
(76) سورة النور، الآيتان: 12-13.
(77) ينظر: أسباب النزول للواحدي: 319-320.
(78) المحرر الوجيز: 170/4، والبحر المحيط، المثنى عبد الفتاح محمود: 21/8، والتحرير والتنوير:174.
(79) ينظر: نظرية السياق القرآني : 142.
(80) ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، د. قيس إسماعيل الأوسي: 499.
(81) التحرير والتنوير: 174/18.
(82) ينظر: فصول في علم الدلالة، د. فريد عوض حيدر: 157، والظاهرة الدلالية: 460.
(83) لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي: 7.
(84) ينظر: علم الدلالة دراسة وتطبيق، هدى لوشن: 100.
(85) البحر المحيط: 21/8.
(86) سورة الصف، الآيتان: 2-3.
(87) ينظر: أسباب النزول، للواحدي: 426-427، لباب النقول في أسباب النزول: 195.
(88) ينظر: المحرر الوجيز: 301/5، وينظر: الجواهر الحسان: 424/5.
(89) ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: 264، 302.
(90) ينظر: دور الكلمة في اللغة: 97.
(91) ينظر: علم الدلالة، فايز الداية: 32.
(92) التفسير الوسيط: طنطاوي: 354/14.
(93) ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر: 68-69.
(94) البحر المحيط: 164/10.
(95) روح المعاني: 278/4.
(96) ينظر: الكتاب: 34/1.
(97) ينظر: علم الدلالة التطبيقي، د. هادي نهر: 241.
(98) ينظر: دلالة تراكيب الجمل عن الأصوليين، د. موسى بن مصطفى العبيدان: 255.
(99) سورة التوبة، الآية: 38.
(100) أسباب النزول للواحدي: 46.
(101) الجامع لأحكام القرآن: 140/8، وينظر: فتح القدير: 412/2، وفتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي (ت1307هـ): 301/5.
(102) التحرير والتنوير: 195/10.
(103) ينظر: أساليب الطلب عن النحويين والبلاغيين: 378، والأدوات النحوية دراسة في البنية الصوتية والدلالة، يحيى صالح الركابي، اطروحة دكتوراه: 12.
(104) ينظر: المعنى خارج النص أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب، فاطمة الشيدي: 10-11.
(105) ينظر: شرح التسهيل: 210/2-211-212، وتمهيد القواعد شرح تسهيل الفوائد، محمد بن يوسف المعروف بـ(ناظر الجيش (ت778هـ): 1947/4.
(106) ينظر: الكلمة دراسة في اللسانيات المقارنة، د. محمد الهادي عياد: 118.
(107) ينظر: المعنى خارج النص: 67.
(108) التحرير والتنوير: 197/10.
(109) المحرر الوجيز: 34/3.
(110) لسان العرب: 319/11.

(111) التحرير والتنوير: 197/10.
(112) ينظر: تحليل المعنى مقاربات في علم الدلالة، صابر الحباشة: 68.
(113) التحرير والتنوير: 197/10.
(114) ينظر: اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز: 222.
(115) ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د. عبد العظيم محمد المصطفى: 264.
(116) التحرير والتنوير: 198/10.
(117) إعراب القرآن الكريم وبيانه محيي الدين: 100/4.
(118) ينظر: التحرير والتنوير: 198/10.
(119) دلائل الإعجاز: 53-54.
(120) التصوير اللغوي عند علماء أصول الفقه، د. السيد أحمد عبد الغفار: 76.
(121) ينظر: التحرير والتنوير: 198/10.
(122) المعنى خارج النص: 68.
(123) ينظر: التحليل النحوي أصوله وأدلته، د. فخر الدين قباوة: 252.
(124) روح المعاني: 287/5.
(125) ينظر: المعنى وظلال المعنى: 121.
(126) ينظر: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، محمد حسين سلامة: 120.
(127) ينظر: التحليل النحوي: 249.
(128) روح المعاني: 287/5
(129) إعراب القرآن وبيانه: 101/4.
(130) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية (ت751هـ)، وإعلام الموقعين: 167/1.
(131) ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر: 70.
(132) ينظر: معجم علم اللغة النظري، د. محمد الخولي: 84.
(133) سورة الأعراف، الآية: 150.
(134) ينظر: جامع البيان: 120/13.
(135) ينظر: روح المعاني: 64/5.
(136) إرشاد العقل السليم: 274/3.
(137) لسان العرب، مادة (غضب): 649/1.
(138) ينظر: دور الكلمة في اللغة: 112.
(139) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: 78.
(140) ينظر: جدلية السياق والدلالة في اللغة العربية، بحث منشور، م.د سيرون عبد الزهرة الجنابي، وم. حيدر جبار عيدان: 44.
(141) مفاتيح الغيب: 371/15.
(142) اجتهادات لغوية، د. تمام حسان: 243.
(143) ينظر: دور الكلمة: 112.
(144) علم الدلالة العربي-النظرية والتطبيق، فايز الداية: 32.
(145) التحرير والتنوير: 114/9.
(146) ينظر: الكلمة، محمد الهادي عياد: 118.
(147) ينظر: المعنى خارج النص: 42.
(148) ينظر: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب: 10، والعلاماتية وعلم النص، منذر عياشي: 137-138.
(149) البحر المحيط: 181/5.
(150) روح المعاني: 63/5.
(151) الكشاف: 161/2.
(152) الدر المصون: 466/5.
(153) الكشاف: 161/2.
(154) الدرر المصون: 466/5.
(155) ينظر: النحو والدلالة: 61.
(156) ينظر: الإشارات الجسمية دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل: 25.
(157) ينظر: علم اللغة الاجتماعي، د. هدسون، ترجمة: د. محمود عياد: 210.

[158] التحرير والتنوير: 15/9.
[159] مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 607/1.
[160] ينظر: الغيب: 372/15.
[161] ينظر: فصول في علم الدلالة: 148.
[162] روح المعاني: 64/5.
[163] التحرير والتنوير: 16/9.
[164] ينظر: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي: 92، ونسخ الوظائف النحوية في الجملة العربية، د. خديجة محمد الصافي: 31.
[165] ينظر: علم الدلالة، فريد عوض: 162.
[166] ينظر: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي: 98-99.
[167] ينظر: المعنى خارج النص: 45.
[168] سورة ص، الآيات: 21-24.
[169] الكشاف: 80/4.
[170] مفاتيح الغيب: 377/26.
[171] ينظر: الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (خصم): 1912/5.
[172] ينظر: إرشاد العقل السليم: 220/7.
[173] ينظر: تيسير الكريم الرحمن: 711/1.
[174] ينظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: د. حسن طبل: 100.
[175] ينظر: الكشاف: 82/4.
[176] ينظر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: 283.
[177] أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: 101.
[178] ينظر: الكشاف: 82/4.
[179] نظم الدرر: 357/6.
[180] المحرر الوجيز: 499/4.
[181] السياق غير اللغوي في النص القرآني، خليل خلف بشير العامري، بحث منشور:1296.
[182] ينظر: توظيف سياق الحال في فهم المعنى عند النحويين والبلاغيين والأصوليين، أطروحة دكتوراه: 341.
[183] تفسير السمعاني: 343/4.
[184] ينظر: الكلمة، محمد الهادي عياد: 561.
[185] ينظر: توظيف السياق في الدرس اللغوي، أطروحة دكتوراه، الصادق محمد آدم، جامعة لخرطوم: 289.
[186] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: 205/2.
[187] روح المعاني: 173/12.
[188] التحرير والتنوير: 237/23.
[189] المصدر نفسه: 238/23.
[190] ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 150/3.

قائمة المصادر

1 - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت982هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت.
2 - أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت538هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، الطبعة الأولى (1419هـ-1998م).
3 - أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، الدكتور قيس إسماعيل الأوسي، بيت الحكمة (1989م).
4 - أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري (ت468هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح- الدمام، الطبعة الثانية (1412هـ-1992م).
5 - الأصول، دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، الدكتور تمام حسّان، عالم الكتب- القاهرة (1420هـ-2000م).
6 - الأضداد، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن قطن ابن دعامة الأنباري (ت308هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية- بيروت- لبنان (1407هـ-1987م).

7 - إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد درويش (ت1402هـ)، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص سورية، الطبعة الرابعة (1415هـ).
8 - البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان أثير الدين الأندلسي (ت745هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر- بيروت (1420هـ).
9 - البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حنبكة الميداني الدمشقي (ت1425هـ)، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى (1416هـ-1996م).
10 - بهجة المجالس، وأنس المجالس وشحذ الذهن والهاجس، الإمام أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (ت463هـ)، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية (1982م).
11 - التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت1391هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر- تونس (1984م).
12 - التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجِهِ، الدكتور كريم زكي حسام الدين، دار غريب- القاهرة (2000م).
13 - تحليل المعنى مقاربات في علم الدلالة، صابر الحباشة، مكتبة الحامد، عمان- الأردن، الطبعة الأولى (2011م).
14 - التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، الدكتور عودة خليل أبو عودة، مكتبة المنار، الأردن- الزرقاء، الطبعة الأولى (1405هـ-1985م).
15 - التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة- القاهرة، الطبعة الأولى.
16 - تمهيد القواعد شرح تسهيل الفوائد: محمد بن يوسف المعروف بناظر الجيش (ت778هـ)، تحقيق: الأستاذ الدكتور: علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى (1428هـ).
17 - تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت370هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى (2001م).
18 - الجامع لأحكام القرآن، تفسير الطبري، أبو عبد الله أحمد الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية- القاهرة، الطبعة الثانية (1384هـ-1964م).
19 - جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت321هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الناشر دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الأولى (1987م).
20 - الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن حمد بن مخلوف الثعالبي (ت875هـ)، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى (1418هـ).
21 - خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، الدكتور عبد العظيم محمد المصطفى محمد المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى (1992م).
22 - دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، الدكتور عبد الفتاح عبد العليم البركاوي.
23 - دلالة السياق، الدكتور ردة الله بن ضيف الله الطليحي، جامعة أم القرى، السعودية، الطبعة الأولى (1424هـ).
24 - الدلالة السياقية عند اللغويين، الدكتور عواطف كنوش المصطفى، دار السياب للطباعة والنشر- لندن، الطبعة الأولى (2007م).
25 - دلالة تراكيب الجمل عند الأصوليين، الدكتور موسى بن مصطفى العبيدان، الأوائل للنشر، سورية- دمشق، الطبعة الأولى (2002م).
26 - دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة: الدكتور كمال بشر، دار غريب للطباعة، الطبعة الثانية عشرة.
27 - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت1270هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى (1415هـ).
28 - الزَّهد والرقائق، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك المروزي (ت181هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت.
29 - شرح التسهيل، محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجياني الأندلسي (ت672هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا وطارق فتحي السيد، الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى (2001م).
30 - شرح تسهيل الفوائد، محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجياني الأندلسي (ت672هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا وطارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى (1422هـ-2001م.
31 - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الرابعة (1407هـ-1987م).

32 - الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، الدكتور صلاح الدين زوال، الدار العربية للعلوم- الجزائر، الطبعة الأولى (1429هـ-2008م).
33 - العربية وعلم اللغة الحديث، الدكتور محمد محمد داود، دار غريب للطباعة والنشر- القاهرة (2001م).
34 - علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، الدكتور منقور عبد الجليل، اتحاد الكتاب العربي- دمشق (2001م).
35 - علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، الدكتور هادي نهر، عالم الكتب الحديث، أربد- الأردن، الطبعة الثانية (1432-2011م).
36 - علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، الدكتور فريد عوض حيدر، مكتبة الآداب- القاهرة، الطبعة الأولى (2005م).
37 - علم الدلالة دراسة وتطبيق، الدكتورة نور الهدى لوشن، المكتب الجامعي الحديث (2006).
38 - علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة، الدكتور حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرق-القاهرة، الطبعة الأولى (2009م).
39 - علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب- القاهرة، الطبعة السادسة (1427هـ-2006م).
40 - علم الدلالة، أف. آر. بالمر، ترجمة: مجيد الماشطة، مطبعة العمال المركزية، بغداد (1985م).
41 - علم الدلالة، بيرجيرو، ترجمة: الدكتور منذر عيّاشي، دار طلاس- دمشق، الطبعة الأولى (1988م).
42 - فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت1250هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت، الطبعة الأولى (1414هـ).
43 - فقه اللغة وخصائص العربية، الدكتور محمد المبارك، دار الفكر للطباعة، بيروت- لبنان (2005م).
44 - كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ)، المحقق: د. مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
45 - الكتاب، سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت180هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة (1425هـ-2004م).
46 - الكلمة دراسة في اللسانيات المقارنة، محمد الهادي عياد، مركز النشر الجامعي، تونس، 2010م.
47 - لباب النقول في أساب النزول، جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، المحقق: الأستاذ أحمد عبد الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
48 - لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي (ت711هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة (1414هـ).
49 - لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى (1991م).
50 - اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: الدكتور عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق- بغداد، الطبعة الأولى (1987م).
51 - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتاب- بيروت، الطبعة الأولى (1422هـ).
52 - المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة المرسي (ت458هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى (1421هـ-2000م).
53 - معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر- تونس (1986م).
54 - معجم المصطلحات الألسنية، مبارك مبارك، دار الفكر اللبناني- بيروت، الطبعة الأولى (1995م).
55 - المعنى خارج النص أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب، فاطمة الشيدي، دار نينوى للطباعة والنشر- دمشق (2011م).
56 - مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر التميمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة (1420هـ).
57 - مقالات في اللغة والأدب، الدكتور تمام حسان، عالم الكتب- القاهرة، الطبعة الأولى (1427هـ-2006م).
58 - مقاييس اللغة، أحمد بن فارس زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر.
59 - مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، الدكتور محمد محمد يونس علي، المتحدة، طرابلس، الطبعة الأولى (2004م).
60 - من الإعجاز اللغوي في القرآن دراسة لغوية أسلوبية، الدكتور مصطفى شعبان المصري، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الأولى (2012م).
61 - من قضايا اللغة، الأستاذ الدكتور مصطفى النحاس، مطبوعات جامعة الكويت، الطبعة الأولى، 1415هـ-1995م.
62 - مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية.

63 - المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف، عبد الله بن يوسف بن عيسى ابن يعقوب الجديع، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة، بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة (1428هـ-2007م).
64 - النحو والسياق الصوتي، الدكتور أحمد كشك، دار غريب للطباعة والنشر- القاهرة، الطبعة الأولى (2010م).
65 - النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: الدكتور تمام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى (1418هـ-1998م).
66 - النص والسياق، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، بيروت- لبنان.
67 - نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية، الدكتور المثنى عبد الفتاح محمود، دار وائل للنشر، عمان- الأردن، الطبعة الأولى (1429هـ-2008م).
68 - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت885هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
69 - النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك الشيباني الجزري ابن الأثير (ت606هـ)، الناشر: المكتبة العلمية- بيروت (1399-1979م)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناجي.